‘Yandoto Academic Journal of Arabic Language and Literature
ISSN: 2714-4712 (Print & Open Access)
https://easpublisher.com/journal/yandoto/home

أسباب نشوء المشترك اللفظي في للغة العربية

إعداد
خيرية زكريا عمر

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على معلم البشرية نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن سار على دربهم إلى يوم الدين.

تمهيد

تعد ظاهرة الاشتراك اللفظى من الظواهر اللغوية التي كثر حولها الكلام والنقاش بين العلماء واللغويين والأدباء والباحثين قديما وحديثا، وقد عدها الكثيرون منهم سمة من سمات اللغة العربية وميزة من مميزاتها ومظهرا من مظاهرا العبقرية فيها.

كما يرى كثير من الباحثين أن المشترك اللفظى هو القوة الاقتصادية الضارية للرصيد اللغوي، لأنه يمثل العنصر الجوهرى والأساس للثروة اللغوية والفكرية والحضارية، وهو يعتبر الحالة الطبيعية الغالية فى اللغة مقارنة بالإفرادية المدلولية التى أصبحت بحكم الواقع اللغوي تعتبر حالة ثانوية. ويعود ذلك إلى قانون عام سائد فى اللغات جميعها، ومفاده: أن أفكار الإنسان غفيرة وكثيرة ووسائل التعبير عنها محدودة بتعبير علماء الأصول: ((لا يجب أن يكون لكل معنى لفظ، لأن المعانى التى يمكن أن تعقل لا تتناهى، والألفاظ متناهية والمتناهى إذا وزع على غير المتناهى لزم الاشتراك)).

وعلى الرغم من هذه الأهمية توجد بعض المواقف السلسبية عند المحدثين وتدور هذه الموافق فى معظمها حول أو التخلص من هذه الظواهر بحجة ارتباطها بكثرة الدلالات وبالالتباس الدلالى الذى يعتبر فى تصورهم داءًا يجب استئصاله. وهذا ما جعل الباحثة إلى كتابة هذه الورقة لتثبت لأصحاب هذا الرأى ان ظاهرة المشترك اللفظى ظاهرة ايجابية تعد من الفصاحة والبلاغة ولوجودها عدة عوامل مختلفة. وقد تطلبت طبيعة الموضوع إلى تقسيم الورقة إلى ثلاثة أقسام كالتالى:

1) التعريف بالمشترك لغة واصطلاحًا
2) الأسباب اللغوية التى أدت إلى وجود ظاهرة المشترك اللفظى
3) الاسباب الاجتماعية التى أدت إلى وجود ظاهرة المشترك اللفظى

وفى الأخير الخاتمة والنتائج ثم المراجع

المعنى اللغوي:-

للفظ العربي أقسام متعددة من حيث دلالته على المعنى، ومن جملة هذه الأقسام الاشتراك اللفظي.

والاشتراك مشتق من فعل شَرَكَ، والشَّرِكَةُ والشِّراكة بمعنى واحد أي:- مخالطة الشريكين.[1]

يقال: إشتَرَكنَا بمعنى تشاركنا، وقد اشترك الرجلان وتَشَارَكَا وشارك أحدهما الآخر في فعل شيء ما.

فأما قوله:-

على كل نهد القَصربين مُقلِّصٍ * وَجَرْ دَاءَ يأبي رَبُّهَا أن يُشَارَكَا[2]

فمعناه أنه يغرو على فرسه ولا يدفعه إلى غيره.

فالشرك بمعنى الشريك وبمعنى النصيب،[3] ويقال شركا، وشركاء، ومنه قوله تعالى: ((**فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ**)) [4] ، ويقال أشراك، ومنه أنشد لبيد :-

تطير عدائد الأشراكِ شفعا *ووتـــــــــــــرًا والزعامة للغلام[5]

ومن قرأ (شركاء) أراد به جَمْعَ شريكٍ، وأصله الشِّرْكَةُ، والـمُشاركةُ: خلط المالين، وقيل هو أن يوجد شيءٌ لا ثنين فصاعدًا عينًا كان ذلك الشيء أو معنى،كمشاركة: الإنسان والفرس في الحيوانية.[6]

يقال شَرَكْتُهُ وشَارَكْتُهُ وتَشَارَكُوا واشْتَرَكُوا وأَشْرَكْتُهُ فى كذا، قال تعالى: ((**وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي**))[7] ،وفي الحديث: "اللهم أشرِكنا في دعاءِ الصالحين"[8]

يعني اجعل لنا نصيبا من دعائهم ليكون شركاء معهم في الدعاء. وفي أحد الأقوال في قوله تعالى: ((**وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ**))[9]

قال آخرون: معنى (مشركون) أي واقعين في شَرَكِ الدنيا أي حبائلها،[10] ومن ثَمَّ قال عليه الصلاة والسلام: "الشِّركُ في هذه الأمةِ أخفي من النّحلِ دبيب على الصّفا".[11]

ولفظ الشِّرْكِ من الألفاظ المشتركة.

(وشِرْكُ) في دائرة المعارف، بمعنى المصاحبة أو المشاركة، يقال: شرك فلان فلانا أي صار شريكا له، وشارك فلان فلانا أي حصلت بينهما شَرِكَة.

والشَّرْكُ النصيب، وأشرك بالله إدَّعى له شريكا في الملك، والشَّرَك حبائل الصيد، وجمع الشَّرَكِ أشْرَاك.[12]

ومن التعريفات السابقة يفهم أن معنى الاشتراك هو: المشاركة بين شيئين فصاعدا مهما اختلفا أو تنوعا، ويقع الاشتراك في أي شيء، وهو ضد الإنفراد.

وهذا هو المعنى الحقيق للاشتراك في اللغة العربية.

المعنى الاصطلاحي:

هذا، وقد عرف "المشترك اللفظي" بأنه مصطلح يطلق على الكلمة ذات المعاني المختلفة.[13]

وبعبارة أخرى هو كل كلمتين أو أكثر تتفق في النطق والكتابة، وتختلف معانيها، وذلك مثل كلمة "العين" فهي تدل على العين الباصرة، وتدل على عين النابعة، وتدل على عين القوم وهو رئيسهم، وتدل على عين العدو وهو جاسوسهم، والعين تأتي بمعنى الذهب وتأتي مؤكدة بمعنى الذات.[14]

وبإمعان النظر في هذين التعريفين كلها نجد أنهما بالرغم من اختلافهما في الأساليب أنها تدل على معنى واحد وهو أن الاشتراك معناه: دلالة لفظ واحد على معنيين فصاعدا.

وكما يقع الاشتراك في الأسماء كذلك يقع في الأفعال والحروف. وقد صرح بذلك العلامة السيوطي بقوله: "وذهب بعضهم إلى أن الاشتراك أغلب ... لأن الحروف بأسرها مشتركة بشهادة النحاة، والأفعال الماضية مشتركة بين الخبر والدعاء، والمضارع كذلك ... مشترك بين الحال والإستقبال والأسماء كثير فيها الاشتراك؛ فإذا ضممناها إلى قسمى الحروف والأفعال كان الاشتراك أغلب".[15]

وإذا أخذنا الفعل (يعمل) في اللغة العربية مثلا نرى أن لهذه الكلمة معان متعددة لا يمكن بأية حال من الأحوال رفضها أو تجاهلها، فنحن نقول فعلا، وعلى سبيل الحقيقة: "عمل خيرا" أي بمعنى فعل، وعمل بالقانون أي طبقه، وعمل على نشر الكتاب أي سعى لنشره و"عمل في مصنع، وعمل تاجر" أي صنع أو مهن، و"عمل بجد" أي اشتغل وتصرف أو قام بالعمل، وغير ذلك من معاني هذا الفعل.

وكذالك الفعل فتح يفتح فتحا فهو فاتح، فتح الباب أو الصندوق، خلاف أغلقهما، فتح الطريق: هيأه، أو أذن بالمرور فيه، فتح المدينة أو البلد: احتلها، فتح الكتاب: نشر طيَّه ليقرأ منه، فتح الله عليه: هداه وأرشده، فتح الباب على مصراعيه لعمل ما: أفسح المجال له، فتح بين الخصمين: قضى بينهما، ومنه قوله تعالى: ((**... رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ**))[16]

فتح حسابا في المصرف: أي وضع مالا أومبلغا من المال. فتح شهيته: جعله راغبا في الأكل. فتح صفحة جديدة:غيَّر طريقه، فتحت نيجيريا صفحة جديدة مع نيجر، بمعنى علاقة فتح عينيه جيدا: انتبه، وحذر، فتح على شيء: شاهده أو اختبره وهو لا يزال طفلا، فتح له قلبه: باح بسره، وغير ذلك كثير من معاني هذه الكلمة.

فقد رأينا كيف اتسعت هذه الكلمة أو هذا الفعل إلى معان مختلفة بين محسوس، ومجرد، وكلها جارية ومتداولة ومتعارفة على استعمال الكلمة فيها ضمن سياقاتها الخاصة، ويمكن أن تتسع لمعان أخرى متعددة.
وكذالك الفعل "صلى" فإن هذا الفعل مشترك بين معان عدة منها:-
الدعاء، ومنه قول الأعشى:-

وصهباء طاف يهوديُها * أبررها، وعليها ختتم
وقابلها الريح في دنـــــــها * وصل على دنّها وارتسم[17]

قال:دعا لها ألا تحمض ولا تفسُد.
"الرحمة":- ومنه قول عدى بن رقاع:-

صلى الإله على امرىء ودَّعْتُه * وأتم نعمته عليه وزادها[18]

فإن الصلاة من الله تعالى "الرحمة"
قضى: فهو أيضا فعل له معان عدة، فيأتي بمعنى:- "حكم" كما ورد في قوله تعالى: ((**فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا**))[19]
ويأتى بمعنى "أمر وحتم" وذلك عند قوله تعالى: ((**وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ**))[20]
وأما مثاله في الحرف فهو ما يلي:-
من:- فإنها تأتي لابتداء الغاية كما في قوله تعالى :- ((**سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى**))[21]
وتأتي لتبعيض كما في قوله تعالى:- ((**لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ**)) [22]
أي يعني ما تحبون. وتأتي لبيان الجنس كما في قوله تعالى: ((**ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ الْأَنْعَامُ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ**)) [23] أي اجتنبوه.
وغير ذلك من معانيها التي سيأتي ذكرها فيما بعد.
الباء:- فحرف الباء يفيد معنى المعية كما يستعمل بمعنى "على" وقد يستعمل بمعنى "إلى".
فمن أمثلة الأول: بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ.
ومن أمثله الثاني قول ابن الهيثم:-

لعمرك ماضاقت بلاد بأهلها * ولكن أخلاق البلاد تضيق[24]

فقد أفادت "الباء" بمعنى "على" في صدر البيت، لأن المقصود أن البلاد لاتضيق على أهلها.
ومن أمثله الثالث قول الزمخشري:-

يامن يرى مد البَعُوضِ جناحها * في ظلمة الليل إليهم الأَلْيَلِ
ويرى وصول غذاء الجنين ببطنها * في ظلمة الأحشا بغير تَمَقُّلِ[25]

والزمخشري يصف الله عز جل في البيت الثاني بأنه يرى وصول غذاء الجنين إلى بطنها، فقد آفاد "الباء" في البيت معنى "إلى".
ويمكن أن نلحظ العلاقة بين المعنى اللغوي للاشتراك اللفظي، والمعنى الإصطلاحي له، ذلك أن وجود الشيء لاثنين فصاعدا عينا كان ذلك الشيء أو معنى سمي في اللغة بالاشتراك وكذلك اللفظ الموضوع لحقيقتين مختلفتين أو أكثر، سمي بالاشتراك اللفظي اصطلاحا، ومن ذلك يلاحظ أن هناك صلة وعلاقة بين المعنيين اللغوي والإصطلاح، وهذه العلاقة هي التي تبين لنا كيف اصطلح العلماء على تسمية اللفظ الدال على معان مختلفة "بالاشتراك اللفظي" وصارت هذه الظاهرة اللغوية تعرف عند العلماء والدارسين بهذه التسمية اصطلاحا.

الأسباب اللغوية التي أدت إلى وجود الألفاظ المشتركة

إن لوجود هذه الظاهرة عوامل عدة ومختلفة، وأن تنوع هذه العوامل واختلافها هو الذي أدى إلى كثرة هذه الظاهرة، ومن العلماء من قسموا هذه العوامل والأسباب إلى عوامل علمية واجتماعية ودينية وأخرى لغوية بلاغية، وبعضها جغرافية وتاريخية، وهذا المبحث مخصص لذكر بعض العوامل التي تمس الجانب اللغوي وهي كالآتي:

1- **التطور اللغوي**: فقد تكون هناك كلمتان كانتا في الأصل مختلفتي الصورة والمعنى، ثم حدث تطور في بعض أصوات إحداهما، فاتفقت لذلك مع الأخرى في أصواتها،وهكذا أصبحت الصورة التي اتحدت أخيرًا، مختلفة المعنى، أي صارت لفظة واحدة، مشتركة بين معنيين أو أكثر.

ومثال ذلك كلمة(دعم) بمعنى قواه، ودعمه: دفعة وطعنه ورماه بشيء، وأصل الكلمة بالمعنى الثاني هو : (دحم) بالحاء، فتطورت هذه الحاء، وجهرت بسبب مجاورتها للدلالة المجهورة، فقلبت إلى نظيرها المجهور وهو العين، فصارت (دعم) والتبست لذلك بكلمة (دعم) بمعنى قوى، فنشأ الاشتراك اللفظي في هذه الكلمة.[26]

وكذلك كلمتا (نثر ونثل) إن هاتين الكلمتين (نثر و نثل) تعنيان عند أبي الطبيب اللغوي (ت 351ه)" لبس الدرع" وفي اللسان: النَّثْرُ نَثْرُكَ الشيء بيدك ترمي به متفرقًا مثل نَثْر الجَوْزِ واللَّوْز.. والنَّثْرَة: للدِرْعُ السَّلِسَةُ المَلْبَسُ، وقيل: هي الدرع الواسعة، ونَثَرَ دِرْعَه عليه: صَبَّهَا، ويقال الدرع: نَثْرَة ونَثْلَة.

قال ابن جني: ينبغي أن تكون الراء في النَّثْرَةِ بَدَلا من اللام لقولهم نَثَلَ عليه دِرْعَهُ ولم يقولوا نثرها، واللام أعم تصرفا، وهي الأصل.[27] .أما معنى (نثل): فيقال: "نثل الركية ينثلها نثلا: أخرج ترابها، واسم التراب النَّثِيلَةُ والنُّثَالَةُ والنَّثِيلَةُ: الدرع عَامَّة، وقيل: هي السَّابغةُ منها،وقيل: هي الواسعة منها، مثل: النَّثْرة، ونثل عليه درعه يَنْثُلَهَا صَبًّا.

ابن السِّكِيتِ: يقال: قد نَثَلَ درعه، أي القاها عنه. ولا يقال: نَثَرَهَا[28].

ومما تقدم يظهر جليًا أن يقال إن الأصل (نثل) بشهادة ابن السِّكِيتِ وابن جنى، ولما كان هناك تقارب في المخرج وصفة التحكم بين اللام والراء، ابدلت اللام راء: فصار للفعل (نثر) معنيان معنى أصلي، ومعنى آخر قادم من الابدال الذي أفضى إلى مطابقة هذا الفعل فعلًا آخر ذا معنى مفترق عن الأول، فاشتركا في هيئة واحدة مع وجود معنيين.

ويحدث الاشتراك بسبب وجود كلمة في صيغة الجمع أشبهت أخرى في المفرد، مثل (النوى) جمع نواة، و(النوى) البعد، وأيضًا تشابه الاسم والفعل في النطق مثل(هوى) بمعنى سقط، و (الهوى) بمعنى ميل النفس، وقس على ذلك الصيغ المختلفة الأصل والاشتقاق، وهذا هو المشترك الكاذب، وقد استعمل هذا النوع من الاشتراك في بابين من أبواب البلاغة هما باب التورية والجناس[29].

2- العوارض التصريفية التي تطرأ على لفظين متقاربين في صيغة واحدة، فينشأ عنها التعدد في المعنى، مثل : وجد وجودًا ووجدانا أي عثر، ووجد موجدة، أي غضب، ووجد به، أي أحبه.[30]

3- التعبير المقصود للمعاني: يحدث التعبير المقصود للمعاني عند ما يراد إدخال كلمة ما لغة المتخصصين، فتصبح مصطلحًا علميًا، ومن أمثلة ذلك: التوجيه، من وجهت الرجل في الحاجة، والتوجيه في قوافي الشعر، الذي هو الحرف الذي قبل حرف الروى في قافية المقيد نحو قول رؤية: وقائم الأعماق خاوى المخترق.[31]

فالراء توجيه،والتوجيه أيضًا من عيوب الخيل التي تكون خلقة.

4- رجوع الكلمة إلى أصلين:

فتكون دلالتها على أحد الضدين منحدرة من أصل، ودلالتها على مقابلة منحدرة من أصل آخر، ويرجع هذا التأويل أو يحتمل الصدق في طائفة كبيرة من الأضداد، مثل (هجد) بمعنى نام، وسهر، فمن

المحتمل أن تكون في معنى النوم منحدرة من (هدأ) إذا سكن، وفي معنى السهر من (جد) إذا جهد لما في السهر من الإجهاد في منع النوم.[32]

5- اتفاق بعض الأبنية اللغوية، لفظًا مع اختلافها تقديرًا:

وذلك نتيجة لما تؤدي إليه قواعد التصريف، ومن ذلك إسما الفاعل والمفعول في (افتعل) مما عينه، معتلة أو ما فيه تضعيف، فالفعل(اختار) معتل، واسم الفاعل والمفعول منه (مختار) تقول: العبد مختار في أفعاله والنبي مختار لهداية الأمة فهما متفقان لفظًا ومختلفان تقديرًا، فأصل اسم الفاعل (مختبر) بكسر الياءن وأصل اسم المفعول (مختبر) بفتحها.[33]

كذلك الفعل (اعتد) مضعف واسما الفاعل والمفعول منه (معتد) تقول: أنا معتد لك بكذا وكذا، وهذا أمر معتد به، فأصل اسم الفاعل(معتدد) بكسر الدال الأول وأصل اسم المفعول معتدد بفتحها، فهما متفقان لفظًا، ومختلفان تقديرًا.[34]

6- تطور الاستعامل أو الاشتراك المعنوي:

وقد يوضع اللفظ لمعنى عام يجمع بين معنيين فتصلح الكلمة لكل منهما بسبب المعنى الجامع، وبمرور الزمن يغفل الناس عن المعنى الأصلي، وتصبح الكلمة في ظن الناس من قبيل المشترك اللفظي،وهذا ما يسمونه بالاشتراك المعنوي، وذلك مثل لفظ (المولى) فإن معناه في الأصل "الناصر" ثم استعمل "للسيد" والعبد، ومثل لفظ(القرء) فإن معناه في أصل اللغة: كل وقت أعتيد فيه أمر خاص، فيقال للحمى"قرء" أي دور معتاد تكون فيه، وللمرأة" قرء" أي وقت تحيض ووقت تطهر فيه، وللثريا" قرء" أي وقت أعتيد معها نزول المطر فيه، ثم استعمل في القرآن الكريم لوقت العدة الذي تمكث فيه المرأة بدون زواج بعد طلاقها[35]، وذلك عند قوله تعالى: ((**وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ ...**))[36] ومما سبق تأكدت الباحثة إن المشترك اللفظي اكتسب الدلالة الاضافية لأسباب متنوعة منها اللغوية والفكرية والاقتصادية والاجتماعية في أزمنة متلاحقة.

الأسباب الاجتماعية التي أدت إلى وجود الألفاظ المشتركة

يرجع العلماء -كما ذكر كراع في كتابه " المنجد" - وقوع المشترك اللفظي إلى أسباب كثيرة منها:السبب اللهجي: بعض أمثلة المشترك باعثها تباين اللهجات العربية القديمة، ولما جامعوا اللغة ضموا هذه الألفاظ المشتركة، صارفين النظر في كثير من الأحيان عن رجع كل معنى إلى قبيلة التي كانت تستخدمه، والناظر في المعجمات أو في الكتب العربية يجد هذا التباين في بعض أمثلتها، ومن ذلك ما ذكره السيوطي:"ومن المشترك بالنسبة إلى لغتين **:** قال في الغريب المصنف قال أبو زيد : الألفت في كلام قيس: الأحمق والألفت في كلام تميم: الأعسر، وقال الأصمعي: السليط عند عامة العرب:الزيت وعند أهل اليمن: دهن السمسم ".[37]ويرى رمضان عبد التواب أن هذه المعاني قد تكون لغير قبيلة: إذ أن الشك قد يتبادر إلى الذهن في استعمال قبيلة واحدة كل معان هذا اللفظ[38].

أما إبراهيم أنيس فهو يذهب إلى أنه "قد يتغير معنى الكلمة في لهجة من اللهجات، ثم يمر زمن طويل، خلاله ينسى فيه المعنى الأصلي، وتلزم تلك اللهجة استعمال هذه الكلمات في معناها الجديدة دون سواه، وهنا نرى لهجات اللغة الواحدة تستعمل كلمات متحدة الصورة في معان مختلفة ويظهر أن هذه الظاهرة قد لعبت دورًا مهمًا في اللهجات دون البعض الآخر لظروف لغوية خاصة، فلما جمعت اللغة خيّل لجامعها أن إحدى القبائل تستعمل هذه الكلمة في معنى من المعاني، في حين أن قبيلة أخرى تستعملها في معنى آخر، والحقيقة أن معنى هذه الكلمة قد تغير في لهجة من اللهجات دون أن يظرأ عليه تغيير في اللهجة الأخرى.[39]

ويمثل لهذه الكلمة (الحجرس) التي تعني القرد في لغة أهل الحجاز وتعبر عن الثعلب عند تميم، ولا يكاد يشك في أن الكلمة كانت تطلق على أحد الحيوانين وحده لأن البيئة الصحروية تناسبه ويكثر فيها أمثاله، ثم إن هذا تغير للظروف المجهولة، فأصبح يعنى عند قبيلة من القبائل شيئًا آخر غير شائع، ثم جاء جامعوا اللغة وذكروا معنيين اثنين لهذه الكلمة[40].

ومن المرجع أن هذا الزعم المتقدم تنقصه شواهد كثيرة وأدلة صريحة، إذ أنه قائم على التخمين والحدس، ورمى النظر إلى حقب من التاريخ المظلم التي لا نقف عليها إلا بالتوهم، إلا أنه من المؤكد أن الأمة العربية كانت تختلف قبائلها في استعمال الألفاظ للدلالة على معان، فبعض القبائل مثلًا تطلق اليد على الذراع كله، وأخرى تطلق اليد على الكف والساعدة، وأخرى تطلقها على الكف خاصة.
فعلماء اللغة يقرون أن اليد في اللغة العربية مشترك بين المعاني الثلاثة[41].

2- **توسيع المعنى:**

من الأسباب التي تؤدي إلى وجود الألفاظ المشتركة في اللغة العربية ظهور حاجات لغوية جديدة عبر مرور السنين، قد يدعو إلى توسيع أهل اللغة معنى كلمة ما ليشمل معاني جديدة، مثال ذلك:

- مصرف، أساسا هو مكان صرف الماء،وتوسع ليعني: "بنك" المكان الذي تحفظ فيه الأموال.
- فصل: أساسًا هو فصل من فصول السنة الأربعة، وتوسع ليعني فصلًا دراسيًا "الفصل الأول والثاني من كل عام دراسي".
- سيارة، أساسًا هم من يسيرون، وتوسعت الكلمة لتعنى السيارة التي تركب[42] أي عبارة عن مركبة تحمل الناس وتقودهم إلى حيث يشاؤون.

3- **تضيق المعنى:**

وأيضًا من الأسباب التي تساعد على كثرة الألفاظ المشتركة في اللغة العربية قد تطرأ على الكلمة تحديد لمعناها وهو تضييق أو تخصيص، مثال ذلك:

أ- الاسلام،أساسًا هو الخضوع، فضاقت لتعني الخضوع لله كما شرع الله سبحانه وتعالى.
ب- الصلاة، أساسًا هي الدعاء، فضاقت لتعني تلك العبادة لله تعالى المفتتحة بالتكبير والمختتمة بالتسليم.
ت- الصوم، أساسًا هو الامساك، فضاقت الكلمة لتعني الامساك عن شهوتي البطن والفرج من طلوع الفجر إلى غروب الشمس.
ث- الزكاة، أصلًا هي الطهارة، فضاقت لتعني تزكية المال.
ج- الحج، في الأصل هو القصد، فضاقت لتعني حج البيت الله الحرام.
ح- المصيبة: أساسًا هي ما أصيب المرء من خير أو شر، فضاقت لتعني ما يصيب المرء من شر فقط.
خ- الوزير، أصلًا هو ما يحتمل العبء، فضاقت لتعني المسؤول في الدولة[43].

4- **المجاورة والسببية:** وقد أضاف ابن فارس هذا السبب وعده من أسباب وجود الألفاظ المشتركة في اللغة العربية، وذلك لأن العرب تسمى الشيء باسم الشيء إذا كان مجاورًا له، أو كان منه بسبب، ومن ذلك تسميتهم السحاب سماء، وتجاوزوا ذلك إلى أن سموا النبات سماء.

ومنه قوله شاعر:

إذا نزل السماء بأرض قوم **** رعيناه وإن كنا غضابًا[44].

ومن ذلك قوله تعالى: ((**خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ**))[45] أنزل هنا بمعنى خلق، وإنما جاز أن يقول: أنزل، لأن الأنعام لا تقوم إلا بالنبات، والنبات لا تقوم إلا بالماء، والله سبحانه وتعالى ينزل الماء من السماء.

ومنه قوله تعالى: ((**يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا**)) [46] وهو جلا ثناؤه إنما أنزل الماء ليكون اللباس من القطن، والقطن لا يكون إلا بالماء، ومنه قوله تعالى أيضًا: ((**وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ...**))[47] والمراد هنا-والله أعلم- بالنكاح: هو المهر والنفقة، ومما لا بد به للمتزوج به منه.

5- **الافتراض من اللغات الأجنبية**: افتراض اللغة العربية من بعض اللغات الأجنبية يعد من العوامل التي تفضي إلى وقوع الاشتراك اللفظي، وقد دخلت بعض الألفاظ الأجنبية التي اتفقت في صورتها الصوتية مع ألفاظ موجود في العربية ثم استعملت تلك الألفاظ بالدلالتين: الدخيلة والأصلية، وقد أدى هذا بوقوع الاشتراك،ومن أمثلة ذلك أن (الحب) يعني (الوداد) و(الجرة) التي يجعل فيها الماء لفظة مشتركة، والمعنى الأول عربي، والأخيرة فارسي مأخوذ من كلمة فارسية مماثلة للفظ العربي، ومثل هذا النوع قليل الوقوع[48].

6- **دلالة الأصل على المعنى العام:** إن بعض الأصول التي قد تشتق منها الألفاظ للدلالة على معان جديدة ذات معان عامة، لذلك تستعمل في الدلالة على مسميات مختلفة تشترك في تلك الصفة أو ذلك المعنى العام، ولعل من أمثلة التي توضح هذا كلمة (المشق) التي تحتوي في طياتها هذه المعاني" فهي تشترك بين خفة الخط وسرعة السير، وتطويل الشيء، ومد الوتر، وأخذ الإبل الكلأ بسرعة وعليها إحمالها، وضرب من النكاح[49].

وإذا تتبعنا الآتي يظهر لنا جليًا أن هذه المعاني قد ظهرت في هذا اللفظ، ومنه قولك :" فرس مَشِيقٌ مُمَشَّق، مَمْشُوق، أي فيه طولٌ وقِلّةُ لَحْمٍ"، وجارية مَمْشُوقَة: حسنة القوام قليلة اللَّحم، ومشيق القدح مشقًا" كمِلَ عليه في البَرْي لِيَدِقَّ..... وقلم مشاق: سريع الجري في القرطاس، ومشقَ الخطَّ يَمْشُقُهُ مَشْقًا: مدَهُ،وقيل أسرع فيه، والمِشْقُ السرعة في الطَّعْنِ والضَّرْبِ والأكل والكتابة،.... ومشقت الإبل في سيرها تَمْشُق مَشْقا:أي أسرعت، وقيل: كل سُرْعَةٍ مَشْق.....ومتشق الشيء اختطفه".[50]

من هذا النص المقتبس يظهر أن (المشق) دلالة عامة وهي السرعة والخفة، ولما كانت السرعة والخفة تتجليان في مظاهر مختلفة في العالم الخارجي (كالسرعة في الأكل أو السير أو الطعن أو خفة الجارحية- لما كان ذلك كذلك- اقترن كل مظهر من المظاهر المذكورة آنفا بلفظه (المشق) وقد أضافت هذه الدلالة العامة (للمشق) إلى أن نلحقها بركب الاشتراك اللفظي).

7- **الاستعمال المجازي:**

للمجاز دور في وقوع الاشتراك اللفظي فالعرب كانوا يميلون إلى تلويح دون التصريح،والإيماء بالإشراة اللطيفة الدالة لثقة منهم بفهم المخاطب،ولما كثر نقل ألفاظ إلى معان مجازية أصبحت معاني هذه الألفاظ معان حقيقية، ومن التكرير ولكنه من التذكرة أن يشار إلى قول ابن سيده:" أو تكون كل لفظة تستعمل بمعنى ثم تستعار لشيء فتكثر وتغلب فتصير بمنزلة الأصل"[51].

ومن أمثلة ذلك حديث السيوطي عن اشتراك معنى العين بقوله:"

وأما الراجح إلى التشبيه فستة معان : العين:الجاسوس تشبيها بالعين لأنه يطلع على الأمور الغائبة، وعين الشيء : خياره، والعين : الربيئة وهو الذي يرقب القوم وعين القوم : سيدهم والعين : واحد الأعيان وهم الإخوة الأشقاء والعين الحر كل هذه مشبهة بالعين لشرفها"[52].

هذا، ولنشوء المشترك اللفظي أو حدوثه أسباب ومبررات وأراء أخرى كثيرة ذكرها اللغويون العرب وغيرهم، وذلك كما أثبتوا على أن المشترك ينشأ أحيانًا في ظروف لغوية معينة يعدل فيها عن المعنى الأصلي للفظ إلى معنى أخرى مبادين أو مضاد لمعنى اللفظ المتعارف عليه بهدف التفاؤل أو التأدب أو التهكم والسخرية أو التهويل والتعظيم، أو اجتناب التلفظ بما يوجه الذوق أو بما يكره أو يخرج أو يؤلم المخاطب أو يحدث له، أو للمتكلم ضررًا أو بصورة عامة لغرض ما اصطلحت اللغات الأوروبية على تسميته باسم Euphemism أي تلطيف التعبير عن شيء بغيض[53] ثم يرجع إلى استعمال المعنى الأصلي في ظروف لاحقة أخرى.

وهكذا يحصل التبادل والتناوب بين المعنيين أو المعاني، وقد تصبح هذه المعاني نتيجة لكثرة هذا التناوب والتبادل في مستوى واحد من الاستعمال والدوران: ولا ينفك أي منها عن الارتباط باللفظ.

وذلك كتسمية الأعمى بصيرًا ولمن ذهب بصر إحدى عينيه كريم العين، للتأدب أو لتفادي إحراج المخاطب، أو للتلطف في التعبير عامة، كما تطلق عبارة" بيضة البلد" على ما انفرد بميزة ممدوحة حسنة، كما يجوز أن يراد بها عكس ذلك، حيث تطلق على من يهزأ به ويسخر منه، على حد قول السجستاني[54].

وقد تحدث ظروف معينة تفرضها السياقات أو المرافق المختلفة التي تستعمل فيها الكلمات توجه الذهن بشكل لا إرادي إلى اتجاهات جديدة أحيانًا، مما يوحى بخلق معان جديدة لهذه الكلمات،وذلك لما يوجد لهذه الكلمات نفسها، كما يعبر جوزيف"قندريس Vendryes" من قابلية على التألقم؛ أي : القدرة على اتخاذ دلالات متنوعة تبعا للاستعمالات المختلفة التي تستخدم فيها وعلى البقاء في اللغة مع هذه الدلالات،ومن ثم أداء عشرات من وظائفها بسهولة ويسر، حيث إن خلق معان جديدة لها لا يقضي بالضرورة المعاني السابقة، فيمكن لكل المعاني التي اتخذتها أن تبقى حية في اللغة وحركة التغيرات المعنوية تسير في كل الاتجاهات حول المعنى الأساسي، ولكن كل واحد من المعاني الثانوية يمكن أن تصبح يدوره مركزًا جديدًا للاشفاع المعنوي[55].

الـخاتمة وأهم النتائج:

ولنشوء الـمشترك اللفظى أوحدوثة أسباب وتبريرات وأراء أخرى كثيرة ذكرها اللغويون العرب وغيرهم وذلك كما أثبتو على أن المشترك ينشأ أحيانا فى ظروف لغوية معينة يعدل فيها عن المعنى الأصلى للفظ إلى معنى أخرى مباين أو مضاد لمعنى اللفظ المعارف عليه بهدف التفاؤل أو التأديب أو التهكم والسخرية او التهويل والتعظيم أو اجيتباب التلفظ مما يوجه الذوق او بما يكره أو يخرج أو يؤلم المخاطب أو يحدث له أو للمتكلم ضررًا أو بصورة عامة لفرض ما اصطلحت اللغات الأوروبية على تسميته باسم "Euphemism" أى تلطيف التحرير عن شىء بغيض ثم يرجع الى استعمال المعنى الأصلى فى طروق لا مقة اخرى.

وأما النتائج التى أسفرت هذه الورقة فهى كالآتى:

1) ان العلماء قد قسمو العوامل والأسباب التى أدت الى نشوء الألفاظ المشتركة إلى عوامل عديدة مختلفة.
2) ثبت على أن اختلاف القبائل فى استعمال الألفاظ للدلالة على معان من الأسباب التى أدت إلى زيادة الألفاظ المشتركة
3) أكد الدارسون على أن التطور اللغوى وتطور الاستعمال من وجود الألفاظ المشتركة.
4) وقد يحدث الأشتراك بسبب وجود كلمة فى صيغة "الجمع" أشبهت أخرى فى صيغة المفرد، مثل (النوى) جمع نواة، و(التوى) البعد.
5) وقد يحدث الاشتراك بسبب تشابه اسم وفعل فى النطق مثل (هوى) بمعنى سقط (والهوى) بمعنى ميل النفس.
6) وقد يحدث الاشتراك بسبب إدخال كلمة ما لغة المتخصصين فتصبح مصطلحا علميا.
7) أكد اللغويون على أن العرب تسمى الشىء باسم الشىء إذا كان مجاورًا له أو كان من بسبب، وذلك مما زاد على وجود هذه الظاهرة اللغظية المشتركة.
8) إن من الأسباب التى أدت الى نشوء بعض الأفاظ المشتركة عند العرب توسيع المعنى للاشتمال معاجديدة.
9) وكذلك تحتديد وتضييق أو تخصيص على بعض الكلمات يودى إلى وجود ألفاظ مشترك

الهوامش

[1] لسان العرب، جمال الدين محمود بن مكرم، ابن منظور. المجلد العاشر، صارو للطباعة بيروت 1955م، 1274هـ، مادة شرك-ص:450-451.
[2] البيت في اللسان ولم ينسبه، وورد أيضا في المحكم والمحيط الأعظم لابن سيده في الجزء الثالث، ص:134، بدون نسبة.
[3] لسان العرب، ابن منظور، ج:10، ص:448.
[4] الأعراف: ١٩٠
[5] ديوان لبيد، ص:202.
[6] الكليات، أبو البقاء الكوفي. ج:1-ص:53
[7] طه: ٣٢
[8] مفردات الفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني، تحقيق صفوان عدنان داوودي دار الشامية، ط الثانية، 1997، ص:451-452.
[9] يوسف: ١٠٦
[10] عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، الشيخ أحمد يوسف بن عبدالله الدائم الحلبي، الجزء الثاني، الطبعة الأولى، دار الكتب الوطنية بنغازى، 1995م، ص:1326.
[11] النهأية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير. الجزء الثاني:ص-664.
[12] دائرة المعارفالقرن العشرين، محمد فريد وجدى. المجلد الخامس، دار الفكر بيروت. ص:380.
[13] المحكم والمحيط الأعظم، جزء الثالث:ص: 136. بدون أي معلومات أخرى.
[14] الموسوعات العربية العالمية، مجموعة من المؤلفين. الجزء الثاني:ص:6.
[15] المزهر في علوم اللغة وأنواعها، العلامة عبد الرحمن جلال الدين السيوطي، ط-3، مدار التراث الفاهرة، ج:1، ص:370.
[16] الأعراف: ٨٩
[17] البيتين للاعشى الكبير، وقد ورد في ديوان الشعر العربي جزء الأول، ص:156.
[18] البيت منسوب لعدي رقاع العاملي، وقد ورد البيت في الأغاني للأصفهاني ج:1، ص:290. وكذلك في أدب الكتاب للصولي ج:1، ص:45. وكذلك في العمدة في محاسني الشعر وأدبه لابن رشيق الفيرواني ج:1، ص:112.
[19] النساء: ٦٥ أي مما حكمت.
[20] الإسراء: ٢٣ أي أمر وحتم.
[21] الإسراء: ١
[22] آل عمران: ٩٢
[23] الحج: ٣٠
[24] القصيدة من أقوال ابن الهيثم، وقد ذكرت في كتاب المستطرف في كل فن لشهاب الدين محمد أحمد. دار الكتب الربية بيروت، الطبعة الأولى 1993، ص:373.
[25] القصيدة صدرت من الزمشخري في تفسيره في سورة البقرة، وقد وردت كذلك في موسوعة الشعر الإسلامي لعلى بن نايف الشحود، الجزء 5، ص:132.
[26] رمصان عبد التواب، **فصول في فقه العربية**، ص: 332.
[27] ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (نثر) ص، 4339.
[28] المرجع نفسه، مادة(نثل)، ص 4341.
[29] محمد صالح الشنطي، **مهارات اللغوية**، دار الأندلسن ط: الرابعة، السنة 1986م، ص 69
[30] محمد صالح، الشنطي، **مهارات اللغوية**، ط: الرابعة، ص، 67.
[31] الشنطي، المهارات اللغوية، ص 69.
[32] عبد الغفار، **هلال علم اللغة بين الحديث والقديم**،ط:3، سنة 1309ه- 1989م،ص 293
[33] نفس المرجع والصفحة.
[34] المرجع نفسه، والصفحة ذاتها.
[35] عبد الوهاب خلاق،**علم أصول الفقه**،ص- 174.
[36] البقرة: ٢٢٨
[37] السيوطي، **المزهر**، ج 1، ص – 381.
[38] رمضان عبد التواب، **فصول في فقه العبرية**، ط: 6، ص: 329
[39] إبراهيم أنيس، **في اللهجات العربية**، ص- 170.
[40] نفس الجرمعن الصفحة ذاتها.

[41]عبد الوهاب خلاف –علم أصول الفقه، ص -174
[42]محمد علي الخولي، **مدخل إلى علم اللغة**، ص -140.
[43]محمد علي الخولي- مدخل إلى علم اللغة، ص -141.
[44] البيت لجرير، في الوافر، ذكر في تحرير في ضاعة الشعرة والنثر، ج 1، ص- 96.
[45]الزمر: ٦
[46]الأعراف: ٢٦
[47]النور: ٣٣
[48].....
[49].....
[50]ابن منظور، **لسان العرب**، مادة "مشق" ، ص 4210.
[51] ابن سيده، خليل إبراهيم جفال، **المخصص**، ط:1، دار إحياء التراث العربي، بيروت –لبنان- 1417هـ - 1996م، ج 4، ص 173.
[52]السيوطي، المزهر، ج 1، ص 375.س
[53]د/ يحي كمال، **التضاد في ضوء اللغات السامية**، دراسة مقاولة، بيروت، دار النهضة العربية، 31975، ص: 4
[5454]أبو حاتم سهل بن محمد السجستاني، كتاب المقلوب لفظه في كلام العرب، والمزال عن جهته ،والأضداد للأصعمي، والسجستاني الابن السكيت،، ويليها زيل الصفاني، نشر وتحقيق د/ أوغست منفر،بيروت مطبعة اليسوعيين، 1912م، ص 117.
[55] جوزيف قندريس، Vendryes اللغة، تعريب عبد الحميد الدواخلي،ومحمد الفضاص –القاهرة طبعة لجنة اللسان العربي1970م، ص-254.